جوانبُ الاقتداءِ بالنبيِّ ﷺ

إن المتأمّـلَ في سـيرةِ النبيِّ ﷺ يجـدُ أنها حوتْ جميعَ مـكارمِ الأخلاقِ التـي تواطأَ عليها فضلاءُ، ونجباءُ البشرِ، ونبلاؤهم.

فهوَ ﷺ قدوةٌ في الخلقِ الحسنِ:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

فـكانَ خلقـهُ ﷺ القـرآنَ[١]، يـرضى لرضـاهُ، ويغضبُ لغضبـه، لَمْ يكنْ فاحشـاً، ولا متفحّشـاً[٢]، ولا صخّابـاً في الأسـواقِ، ولا يجـزي بالسّـيّئةِ السّـيّئةَ، ولكنْ يعفو ويصفحُ[٣].

وعنْ صفيّة بنت حييٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: «ما رأيتُ أحداً أحسن خلقاً منْ رسول الله ﷺ»[٤].

وقالَ أنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والله لقدْ خدمتهُ تسعَ سنينَ، ما علمتهُ قالَ لشيءٍ صنعتهُ: لـمَ فعلتَ كذا وكذا؟ أوْ لشيءٍ تركتهُ: هلّا فعلتَ كذا وكذا»[٥].

وقـالَ أنـسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضاً: كانَ رسـولُ الله ﷺ منْ أحسـنِ النّاسِ خلقاً، فأرسـلني يوماً لحاجةٍ، فقلتُ: والله لا أذهبُ، وفي نفسي أنْ أذهبَ لما أمرني بهِ نبيُّ الله ﷺ، فخرجتُ حتّى أمـرَّ على صبيانٍ، وهمْ يلعبونَ في السّـوقِ، فإذا رسـولُ الله ﷺ قدْ قبـضَ بقفايَ منْ ورائي،

---

(١) رواه مسلم [٧٤٦] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) رواه البخاري [٣٥٥٩]، ومسلم [٢٣٢١] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) رواه الترمذي [٢٠١٦] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) رواه الطّبرانيُّ في الأوسط [٦٥٧٨] بإسنادٍ حسن كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري [٦/ ٥٧٥].

(٥) رواه البخاري [٢٧٦٨]، ومسلم [٢٣١٠].

قالَ: فنظرتُ إليهِ وهوَ يضحكُ، فقالَ: «**يا أنيسُ، أذهبتَ حيثُ أمرتكَ؟**»، قالَ: قلتُ: نعمْ أنا أذهبُ يا رسولَ الله[١].

وقدوةٌ في الحلمِ، والعفوِ:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وعنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «كنتُ أمشي معَ النّبيِّ ﷺ، وعليهِ بردٌ نجرانيٌّ غليظُ الحاشيةِ، فأدركهُ أعرابيٌّ، فجذبهُ جذبةً شديدةً حتّى نظرتُ إلى صفحةِ عاتقِ النّبيِّ ﷺ قدْ أثّرتْ بهِ حاشيةُ الرّداءِ؛ منْ شدّةِ جذبتهِ، ثمَّ قالَ: مرْ لي منْ مالِ الله الّذي عندكَ، فالتفتَ إليهِ، فضحكَ، ثمَّ أمرَ لهُ بعطاءٍ»[٢].

وقدوةٌ في الحياءِ:

عنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «كانَ النّبيُّ ﷺ أشدَّ حياءً منَ العذراءِ في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرههُ عرفناهُ في وجههِ»[٣].

وقدوةٌ في الشّفقةِ والرّحمةِ:

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وعنْ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: صلّى رسولُ الله ﷺ ليلةً، فقرأَ بآيةٍ حتّى أصبحَ يركعُ بها، ويسجدُ بها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فلمّا أصبحَ قلتُ: يا رسولَ الله، ما زلتَ تقرأُ هذهِ الآيةَ حتّى أصبحتَ تركعُ بها، وتسجدُ بها. قالَ: «**إنّي سألتُ ربّي** عَزَّوَجَلَّ **الشّفاعةَ لأمّتي، فأعطانيها، وهيَ نائلةٌ إنْ شاءَ اللهُ لمنْ لا يشركُ بالله** عَزَّوَجَلَّ **شيئاً**»[٤].

---

(١) رواه مسلم [٢٣١٠].

(٢) رواه البخاري [٣١٤٩]، ومسلم [١٠٥٧].

(٣) رواه البخاري [٦١٠٢]، ومسلم [٢٣٢٠].

(٤) رواه أحمد [٢٠٨٢١]، وحسنه شعيب الأرناؤوط.

وعنْ مالكِ بنِ الحويرثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيتُ النّبيَّ ﷺ في نفرٍ منْ قومي، فأقمنا عندهُ عشرينَ ليلةً، وكانَ رحيماً رفيقاً، فلمّا رأى شوقنا إلى أهالينا؛ قالَ: «**ارجعوا، فكونوا فيهمْ، وعلّموهمْ، وصلّوا، فإذا حضرتْ الصّلاةُ؛ فليؤذّنْ لكمْ أحدكمْ، وليؤمّكمْ أكبركمْ**»(١).

وقدوةٌ في المحافظةِ على حسنِ العهدِ:

عنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: ما غرتُ على أحدٍ منْ نساءِ النّبيِّ ﷺ ما غرتُ على خديجةَ، وما رأيتها، ولكنْ كانَ النّبيُّ ﷺ يكثرُ ذكرها، وربّما ذبحَ الشّاةَ، ثمَّ يقطّعها أعضاءً، ثمَّ يبعثها في صدائقِ خديجةَ، فربّما قلتُ لهُ: كأنّهُ لمْ يكنْ في الدّنيا امرأةٌ إلّا خديجةُ، فيقولُ: «**إنّها كانتْ، وكانتْ، وكانَ لي منها ولدٌ**»(٢).

وقدوةٌ في التّواضعِ:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبيّه ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، يعني: ليّنْ جانبكَ، وارفقْ بهم. أمرهُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالتواضع، واللّينِ، والرّفقِ لفقراء المؤمنين، وغيرهم من المسلمين.

فكان يمرُّ على الصبيانِ، فيسلّمُ عليهم(٣)، وكانتِ الجاريةُ تأخذُ بيدهِ، فتنطلقُ به حيثُ شاءتْ(٤)، وكانَ يخصفُ نعلهُ، ويرقعُ ثوبهُ(٥)، ويحلبُ شاته(٦)، ويجالسُ المساكينَ(٧)، ويمشي مع الأرملةِ واليتيمِ في حاجتهما(٨)، ويجيبُ دعوةَ من دعاه ولو إلى أيسرِ شيءٍ، ويعودُ المريضَ، ويشهدُ الجنازةَ، ويركبُ الحمارَ، ويجيبُ دعوةَ العبدِ(٩).

---

(١) رواه البخاري [٦٢٨]، ومسلم [٦٧٤].

(٢) رواه البخاري [٣٨١٨]، ومسلم [٢٤٣٥].

(٣) رواه البخاري [٦٢٤٧]، ومسلم [٢١٦٨] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه أحمد [١١٥٣٠]، وعلّقه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه جازماً به، وصحّحه الألباني في تحقيق المشكاة [٥٨٠٩].

(٥) رواه أحمد [٢٤٢٢٨] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصححه الألباني في التعليقات الحسان [٥٦٤٧].

(٦) رواه أحمد [٢٥٦٦٢] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصححه الألباني في التعليقات الحسان [٥٦٤٦].

(٧) ينظر: صحيح مسلم [٢٤١٣].

(٨) رواه النسائي [١٤١٤] عن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في التعليقات الحسان [٦٣٩٠].

(٩) ينظر: مدارج السالكين [٢/ ٣٢٨].

وقدوةٌ في الشّجاعة:

عنْ عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «لـمّا حضرَ البأسُ يومَ بدرٍ اتّقينا برسولِ الله ﷺ، وكانَ منْ أشدِّ النّاسِ ما كانَ، أوْ لمْ يكنْ أحدٌ أقربَ إلى المشركينَ منهُ»(١).

وعند مسلم [١٧٧٦] عن البراءِ بن عازب قالَ: «كنّا والله إذا احمرَّ البأسُ نتّقي بهِ، وإنَّ الشّجاعَ منّا للّذي يحاذي بهِ -يعني النّبيَّ ﷺ».

وعنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «كانَ رسولُ الله ﷺ أحسنَ النّاسِ، وكانَ أجودَ النّاسِ، وكانَ أشجعَ النّاسِ، ولقدْ فزعَ أهلُ المدينةِ ذاتَ ليلةٍ، فانطلقَ ناسٌ قبلَ الصّوتِ، فتلقّاهمْ رسولُ الله ﷺ راجعاً، وقدْ سبقهمْ إلى الصّوتِ، وهوَ على فرسٍ لأبي طلحةَ عريٍ [أي: بلا سرج] في عنقهِ السّيفُ، وهوَ يقولُ: «**لمْ تراعوا، لمْ تراعوا**». قالَ: «**وجدناهُ بحراً، أوْ إنّهُ لبحرٌ**». قالَ: وكانَ فرساً يبطّأُ»(٢).

وهذا من جملةِ معجزاته ﷺ كونهُ ركبَ فرساً قطوفاً بطيئاً، فعاد بحراً لا يسابق، ولا يجارى.

وقدوةٌ في الجودِ والكرمِ:

عنْ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: «كانَ رسولُ الله ﷺ أجودَ النّاسِ، وكانَ أجود ما يكونُ في رمضانَ حينَ يلقاهُ جبريلُ، وكانَ يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ منْ رمضانَ، فيدارسهُ القرآنَ، فلرسولُ الله ﷺ أجودُ بالخيرِ منَ الرّيحِ المرسلةِ»(٣).

وعنِ جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ما سُئلَ النّبيُّ ﷺ عنْ شيءٍ قطُّ، فقالَ: لا»(٤).

وعن أنسِ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «ما سئلَ رسولُ الله ﷺ على الإسلامِ شيئاً إلّا أعطاهُ»، قالَ: «فجاءهُ رجلٌ، فأعطاهُ غنماً بينَ جبلينِ، فرجعَ إلى قومهِ، فقالَ: يا قومِ، أسلموا؛ فإنَّ محمّداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقةَ»(٥).

---

(١) رواه أحمد [١٠٤٥]، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٢) رواه البخاري [٢٩٠٨]، ومسلم [٢٣٠٧].

(٣) رواه البخاري [٦]، ومسلم [٢٣٠٨].

(٤) رواه البخاري [٦٠٣٤]، ومسلم [٢٣١١].

(٥) رواه مسلم [٣٣١٢].

وقدوةٌ في الخشيةِ والخوفِ منَ الله:

عنْ مطرّفٍ عنْ أبيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ يصلّي وفي صدرهِ أزيزٌ[١] كأزيزِ الرّحى منَ البكاءِ، ﷺ»[٢].

وعنِ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا رسولَ الله، قدْ شبتَ!»، فقالَ: «**شيّبتني هودٌ، والواقعةُ، والمرسلاتُ، وعمَّ يتساءلونَ، وإذا الشّمسُ كوّرتْ**»[٣].

وقدوةٌ في الزّهدِ في الدّنيا والتّنزّهِ عنْ مكاسبها:

دخلَ عليهِ عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو على حصيرٍ ما بينهُ وبينهُ شيءٌ وتحتَ رأسهِ وسادةٌ منْ أدمٍ [أي: جلد] حشوها ليفٌ، وعندَ رأسهِ أهبٌ[٤] معلّقةٌ، قال عمرُ: فرأيتُ أثرَ الحصيرِ في جنبهِ؛ فبكيتُ، فقالَ: «**ما يبكيكَ؟**»، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنَّ كسرى، وقيصرَ فيما هما فيهِ، وأنتَ رسولُ الله، فقالَ: «**أما ترضى أنْ تكونَ لهمُ الدّنيا، ولنا الآخرةُ**»[٥].

وفي الوقتِ الذي كانَ يحثُّ أصحابه على الزهدِ في الدنيا، والتعلّق بالآخرةِ كان يحجُّ على رحلٍ رثٍّ[٦]، وقطيفةٍ لا تكاد تساوي أربعة دراهمَ[٧].

وقدوةٌ في الثّباتِ معَ اليقينِ بوعدِ الله:

روى البخاري [٢٨٦٤]، ومسلم [١٧٧٦] عن أبي إسحاقَ عنْ البراءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ لهُ رجلٌ: يا أبا عمارةَ ولّيتمْ يومَ حنينٍ! قالَ: «لا والله ما ولّى النّبيُّ ﷺ، ولكنْ ولّى سرعانُ النّاسِ (أوائلهم) فلقيهمْ هوازنُ بالنّبلِ، والنّبيُّ ﷺ على بغلتهِ البيضاءِ، وأبو سفيانَ بنُ الحارثِ آخذٌ بلجامها، والنّبيُّ ﷺ يقولُ: «**أنا النّبيُّ لا كذبْ، أنا ابنُ عبدِ المطّلبْ**».

---

(١) الأزيز: صوت البكاء، وقيل: هو أن يجيش جوفه ويغلى بالبكاء، انظر: النهاية [١/ ٤٥].

(٢) رواه أبو داود [٩٠٤]، وصححه الألباني.

(٣) رواه الترمذي [٣٢١٩]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٣٧٢٣].

(٤) جمع إهاب، وهو الجلد الذي لم يدبغ، انظر: النهاية [١/ ١٩٨].

(٥) رواه البخاري [٥٨٤٣]، ومسلم [١٤٧٩].

(٦) أي: خلقٍ بالٍ، انظر: النهاية [٢/ ٤٧٩].

(٧) رواه ابن ماجة [٢٨٩٠] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في الصحيحة [٢٦١٧] بمجموع طرقه وشواهده.

وقدوةٌ في الصّبرِ على النّاسِ والعفوِ عنِ المسيءِ:

وقد جاء وصفه في التّوراةِ: «ليسَ بفظٍّ ولا غليظٍ ولا سخّابٍ بالأسواقِ، ولا يدفعُ السّيّئةَ بالسّيّئةِ ولكنْ يعفو ويصفحُ»(١).

وقدوةٌ في كثرةِ الاستغفارِ والتّوبةِ:

عنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**والله إنّي لأستغفرُ اللهَ، وأتوبُ إليهِ في اليومِ أكثرَ منْ سبعينَ مرّةً**»(٢).

وهوَ قدوةٌ في العبادةِ:

عنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ نبيَّ الله ﷺ كانَ يقومُ منَ اللّيلِ حتّى تتفطّرَ [أي: تتشقّق] قدماهُ، فقالتْ عائشةُ: لمَ تصنعُ هذا يا رسولَ الله، وقدْ غفرَ اللهُ لكَ ما تقدّمَ منْ ذنبكَ، وما تأخّرَ؟ قالَ: «**أفلا أحبُّ أنْ أكونَ عبداً شكوراً**»(٣).

وعنْ عبيدِ بنِ عميرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّهُ قالَ لعائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أخبرينا بأعجبِ شيءٍ رأيتِهِ منْ رسولِ الله ﷺ»، قالَ: فسكتتْ، ثمَّ قالتْ: «لـمّا كانَ ليلةٌ منَ اللّيالي، قالَ: «**يا عائشةُ، ذريني أتعبّدُ اللّيلةَ لربي**»، قلتُ: والله إنّي لأحبُّ قربكَ، وأحبُّ ما سرّكَ، قالتْ: فقامَ، فتطهّرَ، ثمَّ قامَ يصلّي، قالتْ: فلمْ يزل يبكي حتّى بلَّ حجرهُ، قالتْ: ثمَّ بكى، فلمْ يزل يبكي حتّى بلَّ لحيتهُ، قالتْ: ثمَّ بكى، فلمْ يزل يبكي حتّى بلَّ الأرضَ، فجاءَ بلالٌ يؤذنهُ بالصّلاةِ، فلمّا رآهُ يبكي، قالَ: يا رسولَ الله، لمَ تبكي، وقدْ غفرَ اللهُ لكَ ما تقدّمَ وما تأخّرَ؟ قالَ: «**أفلا أكونُ عبداً شكوراً؟ لقدْ نزلتْ عليَّ اللّيلةَ آيةٌ، ويلٌ لمنْ قرأها، ولمْ يتفكّرْ فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾** [آل عمران: ١٩٠] الآيةَ كلّها»(٤).

---

(١) رواه البخاري [٢١٢٥] عنْ عبدِ الله بنِ عمرو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه البخاري [٦٣٠٧].

(٣) رواه البخاري [٤٨٣٧]، ومسلم [٢٨٢٠].

(٤) رواه ابن حبان [٦٢٠]، وحسّنه الألباني في الصحيحة [٦٨].

وفي شهرِ رمضانَ، كانَ هديه الإكثارَ من أنواعِ العباداتِ، يكثرُ فيه من الصدقةِ والإحسانِ، وتلاوةِ القرآنِ، والصلاةِ، والذّكرِ، والاعتكافِ.

وفي التطوّع: كان ﷺ يصوم حتى يقال: لا يفطرُ، ويفطرُ حتّى يقالَ: لا يصومُ، وما استكملَ صيامَ شهر غيرَ رمضان، وما كان يصومُ في شهرٍ أكثرَ ممّا يصومُ في شعبان[١]، وكان يتحرّى صيام يوم الاثنين والخميس[٢].

وفي قراءة القرآن: كانت قراءته ترتيلاً، لا هذّاً ولا عجلةً، بل قراءةً مفسّرةً حرفاً حرفاً، وكان يقطّعُ قراءته آيةً آيةً، وكان يمدُّ عندَ حروفِ المدِّ، فيمدُّ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، ويمدُّ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾[٣]، وكانَ يستعيذُ بالله من الشيطانِ الرجيم في أوّلِ قراءته، فيقولُ: «**أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ**»، وربّما كان يقول: «**اللهمَّ إنّي أعوذُ بكَ منَ الشّيطانِ الرّجيم من همزهِ ونفخهِ، ونفثهِ**»[٤]، وكان له ﷺ حزب يقرؤه، ولا يخلُّ به.

وكان يقرأ القرآن قائماً، وقاعداً، ومضطجعاً، ومتوضئاً، ومحدثاً، ولم يكنْ يمنعه من قراءته إلا الجنابة»[٥].

وهوَ قدوةٌ في ذكرهِ للهِ:

فقد كانَ النبيُّ ﷺ أكملَ الخَلْقِ ذكراً لله عَزَّوَجَلَّ، وكان يذكر الله في كل أحيانه، قائماً وقاعداً، وماشياً وراكباً، وسائراً ونازلاً.

ودعا إلى الاقتداءِ بهِ في صلاتهِ، وصيامهِ، وزواجهِ:

فعن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءَ ثلاثةُ رهطٍ إلى بيوتِ أزواجِ النّبيِّ ﷺ يسألونَ عنْ عبادةِ النّبيِّ ﷺ، فلمّا أخبروا كأنّهمْ تقالّوها! [أي: اعتبروها قليلةً] فقالوا: وأينَ نحنُ منْ النّبيِّ ﷺ؟ قدْ غفرَ لهُ ما تقدّمَ منْ ذنبهِ، وما تأخّرَ.

---

(١) رواه البخاري [١٩٦٩]، ومسلم [١١٥٦].

(٢) رواه الترمذي [٧٤٥]، والنسائي [٢٣٦١]، وابن ماجة [١٧٣٩] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصححه الألباني.

(٣) ينظر: صحيح البخاري [٥٠٤٦].

(٤) رواه أبو داود [٧٧٥]، والترمذي [٢٤٢]، والنسائي [٨٩٩] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٥) ينظر: زاد المعاد [١/ ٤٨٢].

قـالَ أحدهـمْ: أمّا أنا فإنّي أصلّي اللّيلَ أبداً، وقالَ آخـرُ: أنا أصومُ الدّهرَ ولا أفطرُ، وقالَ آخرُ: أنا أعتزلُ النّساءَ، فلا أتزوّجُ أبداً.

فجاءَ رسـولُ الله ﷺ إليهمْ، فقالَ: «**أنتمْ الّذينَ قلتمْ كذا وكذا؟ أما والله إنّي لأخشـاكمْ لله، وأتقاكمْ لهُ، لكنّي أصومُ وأفطرُ، وأصلّي وأرقدُ، وأتزوّجُ النّسـاءَ. فمنْ رغبَ عنْ سـنّتي فليسَ منّي**»[(١)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**فمنْ رغبَ عنْ سنّتي؛ فليسَ منّي**»، أي: منْ تركَ طريقتي، وأخذَ بطريقةٍ غيري فليسَ منّي.

وطريقـة النّبـيّ ﷺ الحنيفيّة السّـمحة، فيفطـرُ ليتقوّى عـلى الصّوم، وينـام ليتقوّى على القيام، ويتزوّج لكسرِ الشّهوة، وإعفاف النّفس، وتكثير النّسل.

وفي الحديـث: دلالـة على تتبّع أحوال الأكابر؛ للتّأسّي بأفعالهـمْ، وأنَّ منْ عزمَ على عمل برٍّ، واحتاجَ إلى إظهاره حيثُ يأمنُ الرّياءَ؛ لمْ يكنْ ذلكَ ممنوعاً»[(٢)].

قدوةٌ في الحجِّ:

والحجُّ من أوضحِ عباداتِ الإسلامِ التي يتجلّى فيها اتباعُ النبيِّ ﷺ، والتأسّي بهِ.

وقد أمر ﷺ بالاقتداء به في الحج بقوله: «**لتأخذوا مناسككمْ؛ فإنّي لا أدري لعلّي لا أحجُّ بعدَ حجّتي هذهِ**»[(٣)].

والاقتداء بالنبيِّ ﷺ لا يقتصرُ على صفاته المعنويّةِ، بل يتعدّى ذلك؛ ليشـملَ الاقتداءَ به في جوانبِ حياته العمليّةِ، فهديه في ذلك ﷺ أكملُ هديٍ، يقتدي به المسلمُ.

ففي الطعامِ والشرابِ؛ لا يردُّ موجوداً، ولا يتكلّفُ مفقوداً.

---

(١) رواه البخاري [٥٠٦٣]، ومسلم [١٤٠١].

(٢) فتح الباري [٩/ ١٠٦].

(٣) رواه مسلم [١٢٩٧].

ما قرّبَ إليه شيءٌ من الطيباتِ إلا أكله، ما عاب طعاماً قطُّ، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه[١].

ويرى الهلالُ، ثم الهلالُ، ثم الهلالُ، ولا يوقد في بيته نارٌ[٢].

وكان إذا قـرّبَ إليه الطعامُ قال: «**بسـمِ الله**»، فإذا فرغَ من طعامـه قال: «**اللهمَّ أطعمتَ وسقيتَ، وأغنيتَ وأقنيتَ، وهديتَ وأحييتَ، فلكَ الحمدُ على ما أعطيتَ**»[٣].

وإذا أكل عند قوم لم يخرج حتى يدعوَ لهم[٤].

يـأكلُ مـا تيسّرَ، فـإن أعوزهُ صبرَ، حتى إنـه ليربطُ على بطنه الحجر من الجـوعِ، وكانَ لا يأنفُ من مؤاكلة أحدٍ صغيراً كان أو كبيراً، حرّاً أو عبداً، أعرابيّاً أو مهاجراً[٥].

وفي النّومِ والاستيقاظِ:

كان ينامُ إذا دعته الحاجةُ إلى النومِ على شقّه الأيمن، ذاكراً الله تعالى، غيرَ ممتلئ البدنِ من الطعامِ والشرابِ.

وكانَ إذا أرادَ أنْ ينـامَ وضـعَ يـدهُ تحتَ رأسـهِ ثـمَّ قالَ: «**اللهـمَّ قني عذابكَ يـومَ تبعثُ عبادكَ**»[٦].

وكان يسـتيقظ إذا صاح الصّارخُ، فيحمدُ اللهَ تعالى ويكبّره، ويهلّله ويدعوه، ثم يستاكُ، ثمَّ يقوم إلى وضوئه، ثم يقفُ للصلاة بين يدىْ ربّه، مناجياً له بكلامه، مثنياً عليه، راجياً له، راغباً راهباً.

وكان ينامُ على الفراشِ تارةً، وعلى الحصيرِ تارةً، وعلى الأرضِ تارةً، وعلى السرير تارةً[٧].

---

(١) ينظر: صحيح البخاري [٣٥٦٣]، وصحيح مسلم [٢٠٦٤].

(٢) ينظر: صحيح البخاري [٢٥٦٧]، وصحيح مسلم [٢٩٧٢].

(٣) رواه أحمد [١٦١٥٩]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٤٧٦٨].

(٤) ينظر: حديث عبدِ الله بنِ بسرٍ في صحيح مسلم [٢٠٤٢].

(٥) ينظر: زاد المعاد [١/ ١٤٧].

(٦) رواه الترمذي [٣٣٩٨] عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٧) ينظر: زاد المعاد [١/ ١٥٥]، [٤/ ٢٤٦].

قدوةٌ في كلامهِ وسكوتهِ وضحكهِ وبكائهِ:

كان إذا تكلّم؛ تكلّمَ بكلامٍ مفصّلٍ مبيّنٍ يعدّه العادُّ، ليس بهذٍّ مسرعٍ لا يحفظ، ولا منقطعٍ تخلّله السكتاتُ بين أفراد الكلام، بل هديه فيه أكملُ الهدي.

وكان كثيراً ما يعيدُ الكلامَ ثلاثاً ليعقلَ عنهُ، وكانَ إذا سلّم سلّم ثلاثاً[٨].

وكانَ طويلَ السكوتِ، لا يتكلمُ بشيءٍ في غيرِ حاجةٍ، ويتكلّم بجوامع الكلامِ، فصلٍ لا فضولٍ ولا تقصيرٍ، وكانَ لا يتكلّمُ فيما لا يعنيهِ، ولا يتكلمُّ إلا فيما يرجو ثوابه، وإذا كره الشيء؛ عرفَ في وجهه.

وكان جلُّ ضحكه التبسّم، بل كلّه التبسّمُ، فكان نهايةُ ضحكه أن تبدوَ نواجذه.

وكان يضحكُ مما يضحكُ منه، وهو مما يتعجّبُ من مثلهِ، ويستغربُ وقوعه ويستندر[٩].

وأمّا بكاؤه ﷺ، فكان من جنسِ ضحكه، لم يكنْ بشهيقٍ، ورفعِ صوتٍ، كما لم يكنْ ضحكه بقهقهةٍ، ولكن كانتْ تدمعُ عيناه حتى تهملا، ويسمع لصدره أزيزٌ.

وكان بكاؤهُ تارةً رحمةً للميّتِ، وتارةً خوفاً على أمّته وشفقةً عليها، وتارةً من خشيةِ الله، وتارةً عندَ سماعِ القرآنِ، وهو بكاءُ اشتياقٍ ومحبةٍ وإجلالٍ، مصاحبٌ للخوفِ، والخشيةِ.

ولما ماتَ ابنه إبراهيمُ؛ دمعتْ عيناه وبكى رحمةً له، وبكى لـمّا شاهد إحدى بناته ونفسها تفيضُ[١٠].

وبكى لمّا قرأ عليه ابنُ مسعودٍ سورةَ النساءِ[١١].

وبكى لما مات عثمان بن مظعون، وبكى لما كسفت الشّمسُ، وصلى صلاة الكسوف، وجعلَ يبكي في صلاته، وجعل ينفخُ.

وبكى لما جلس على قبر إحدى بناته، وكانَ يبكي أحياناً في صلاة اللّيلِ[١٢].

---

(٨) رواه البخاري [٩٤] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٩) ينظر: زاد المعاد [١/ ١٨٢].

(١٠) ينظر: مسند أحمد [٢١٢٧٢]، وهي أمامة، أو أميمة بنت زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(١١) رواه البخاري [٤٥٨٢]، ومسلم [٨٠٠] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١٢) ينظر: زاد المعاد [١/ ١٨٣].

قدوةٌ في خطبته:

كان إذا خطـبَ؛ احمـرّت عينـاه، وعلا صوته، واشـتدَّ غضبه حتى كأنّـهُ منذرُ جيشٍ، لا يخطبُ خطبةً إلا افتتحها بحمد الله.

وكان مـدارُ خطبـه على حمدِ الله، والثناءِ عليـه بآلائه، وأوصافِ كمالـه ومحامده، وتعليمِ قواعدِ الإسلامِ، وذكرِ الجنّة والنّارِ والمعادِ، والأمرِ بتقوى الله، وتبيينِ موارد غضبه، ومواقعِ رضاه، فعلى هذا كانَ مدارُ خطبه.

وكان يخطـب في كلِّ وقتٍ بما تقتضيه حاجةُ المخاطبين ومصلحتهم، وكان يقصّرُ خطبته أحياناً، ويطيلها أحياناً، بحسبِ حاجة الناسِ[١].

وقدوة في المعاملات:

كان أحسنَ النّاسِ معاملةً.

باع رسولُ الله ﷺ واشترى، وآجر، واستأجر، وشاركَ غيره، ولما قدم عليه شريكهُ قالَ: أما تعرفني؟ قال: «أما كنتَ شريكي؟ فنعمَ الشّريكُ كنتَ لا تداري، ولا تماري»[٢].

وأهدى، وقبلَ الهديةَ، وأثابَ عليها، واسـتدانَ برهنٍ، وبغير رهنٍ، واسـتعارَ، واشترى بالثمنِ الحالِّ والمؤجّلِ.

وكانَ إذا اسـتلفَ سـلفاً؛ قضى خيراً منه، وكان إذا استسلفَ من رجل سلفاً؛ قضاه إياه، ودعا له، فقال: «**باركَ اللهُ لكَ في أهلكَ ومالكَ، إنّما جزاءُ السّلفِ الحمدُ والأداءُ**»[٣].

ووقفَ رسولُ الله ﷺ أرضاً كانت له، جعلها صدقةً في سبيل الله.

وتشـفّع، وشفّع إليه، وردّتْ بريرةُ شـفاعته في مراجعتها مغيثاً، فلم يغضبْ عليها، ولا عتبَ، وهو الأسوة والقدوة.

---

(١) ينظر: زاد المعاد [١/ ١٩١].

(٢) رواه أبو داود [٤٨٣٦]، وابن ماجة [٢٢٨٧]، وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٤٨٣٨].

(٣) رواه النسائي [٤٦٨٣]، وابن ماجة [٤٢٤٢]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٢٣٥٣].

وحلفَ في أكثرَ من ثمانين موضعاً، وأمره اللهُ سبحانه بالحلفِ في ثلاثة مواضعَ، وكانَ ﷺ يستثني في يمينهِ تارةً، ويكفّرها تارةً، ويمضي فيها تارةً.

وكان يمازحُ، ويقول في مزاحه الحقَّ، ويورّي، ولا يقول في توريته إلا بحقٍّ.

وسابق رسولُ الله ﷺ بنفسه على الأقدامِ، وصارعَ.

وخصفَ نعله بيده، ورقعَ ثوبه بيده، ورقعَ دلوهُ، وحلبَ شاته، وفلى ثوبه، وخدمَ أهلهُ ونفسه، وحمل معهم اللّبنَ في بناءِ المسجدِ، وأضافَ وأضيفَ.

وكانَ يعودُ المريضَ، ويشهدُ الجنازة، ويجيب الدّعوة، ويمشي مع الأرملةِ والمسكينِ والضعيف في حوائجهم، وسمع مديحَ الشّعرِ، وأثابَ عليه[1].

قدوةٌ في عيادةِ المرضى:

كان ﷺ يعودُ مَنْ مرضَ من أصحابه، وعاد غلاماً كان يخدمه من أهل الكتاب، وعاد عمّه وهو مشركٌ، وعرض عليهما الإسلام، فأسلم اليهودي، ولم يسلمْ عمّه.

وكان يدنو من المريضِ، ويجلسُ عند رأسه، ويسأله عن حاله، فيقول: «**كيفَ تجدكَ؟**».

وكان يمسحُ بيده اليمنى على المريضِ، ويقول: «**اللهمَّ ربَّ النّاس، أذهبِ البأسَ، واشفه أنتَ الشّافي، لا شفاءَ إلا شفاؤكَ شفاءً لا يغادرُ سقماً**»[2].

قدوةٌ في سننِ الفطرةِ:

كان يعجبه التيمّنَ في تنعّله، وترجّله، وطهوره، وأخذه وعطائه، وكانت يمينه لطعامه وشرابه وطهوره، ويساره لخلائه ونحوه من إزالةِ الأذى.

وكان هديه في حلق الرأسِ تركه كلّه، أو أخذه كلّه، ولم يكنْ يحلق بعضه، ويدعُ بعضه.

وكان يحبُّ السّواكَ، ويستاكُ مفطراً وصائماً، وعندَ الانتباهِ من النومِ، وعندَ الوضوءِ، والصلاةِ، ودخولِ المنزلِ.

---

(١) ينظر: زاد المعاد [١/ ١٦٥].

(٢) ينظر: زاد المعاد [١/ ٤٩٤].

يكثرُ التطيّبَ، ويحبُ الطّيبَ، ولا يردّهُ.

وكان يحبُّ الترجّلَ، وكان يرجّل نفسه تارةً، وترجّله عائشةُ تارةً[١].

فلينظر المسلمون إلى حالهم اليومَ، وليتّخذوا من رسولِ الله ﷺ وصحابته مثلهم الأعلى، بدلاً من أن يتّخذوا من الممثّلين والممثلات، والمفكّرين العالميّين، ورجالِ الغربِ قدوةً لهم.

ولا بدَّ هنا من الكلام عن مسألة مهمّةٍ، وهي: ما هي الأفعال التي يقتدى بها من أفعال النبي ﷺ؟ ولبيان ذلك نقول:

تنقسمُ أفعالُ النبي ﷺ، إلى أربعةِ أقسام:

القسم الأول: الأفعال الجبليّة، وهي الأفعال الصادرة من النبيِّ ﷺ باعتباره بشراً كسائر البشرِ، وليس بمقتضى الرسالةِ، كالحركاتِ، والقيام والقعود، والمشي، والأكل والشرب، والنوم، فهذه الأفعالُ لا يتعلّقُ بها أمرٌ، ولا نهيٌ.

إلا أن الفعلَ الجبلّيَّ إذا واظبَ النبيُّ ﷺ على إيقاعه على هيئةٍ مخصوصةٍ؛ فإنه يخرج من الإباحة إلى الاستحباب، كنومه على الشّقِّ الأيمنِ.

وكذلك إذا ورد قول يحثُّ على هذا الفعل؛ فإنه يصيرُ مستحبّاً، كالتنفّس في الشراب ثلاثاً، والأكلِ باليمينِ.

القسم الثاني: أفعاله الجاريةُ على وفق عادات قومه وأعرافهم، مما لم يدلُّ دليلٌ على ارتباطها بالشرع.

كالأمورِ التي تتعلّقُ باللباسِ؛ لأن اللباسَ مرجعه إلى العادةِ التي اعتادها أهلُ البلدِ؛ ولهذا لم يغيّرِ الرسولُ ﷺ لباسه الذي كان يلبسه قبل النبوةِ، وإنما وضع شروطاً وضوابطَ للباسِ الرجلِ، والمرأة، وكتطويلِ شعره أيضاً: فهذه الأفعالُ لا يقالُ: إن متابعتهُ فيها سنّةٌ؛ لأنه لم يقصدْ بفعلها التشريعَ، ولم يتعبّدْ بها.

وإذا ورد قولٌ يأمرُ بذلك، أو يرغّبُ فيه، أو جاءتْ قرينةٌ تدلُّ على علاقةِ الفعلِ العاديِّ

---

(١) ينظر: زاد المعاد [١/ ١٧٦].

بالشريعةِ، فهذا خارجٌ عن هذا النوعِ، كلبس الأبيضِ، ورفعِ الإزارِ إلى نصفِ الساقِ، ونحو ذلك.

القسم الثالث: أفعاله الخاصّةُ به، وهذه لا أسوةَ به فيها، كالوصالِ في الصيامِ، وجمعه بينَ أكثر من أربعِ نسوةٍ، ونكاحِ الموهوبةِ بلا مهرٍ، ونحوِ ذلك.

القسم الرابع: الفعل التعبّديُّ، وهو الفعل الذي فعله النبيُّ ﷺ تعبّداً لله.

فهذا الفعلُ هو الذي يقتدى بالنبيِّ ﷺ فيه، وقد يكون واجباً، وقد يكونُ مستحبّاً.

وإلى جانبِ الاقتداءِ بالنبيِّ ﷺ في الأفعالِ يقتدى به في التّروك.

والمقصودُ بالتّروك: تركه ﷺ فعلَ أمرٍ من الأمورِ، ومعرفةُ تركه ﷺ لأمرٍ من الأمور يكونُ بطريقينِ:

- **الأوّلُ**: التصريح بأنه تركَ كذا وكذا، ولم يفعلهُ، كقول الصحابيِّ في صلاة العيدِ: «أنَّ رسولَ الله ﷺ صلّى العيدَ بلا أذانٍ، ولا إقامةٍ [(١)].

- **الثاني**: عدمُ نقلِ الصحابةِ للفعلِ الّذي لو فعله النبيُّ ﷺ؛ لتوفّرت هممهمْ ودواعيهم على نقله للأمّةِ.

فحيثُ لم ينقلهُ واحدٌ منهم ألبتةَ، ولا حدّث به في مجمعٍ أبداً علم أنه لم يكنْ، وذلك كتركه ﷺ التلفّظَ بالنيةِ عندَ دخوله الصلاةَ، وتركه ﷺ لفعلٍ من الأفعالِ يكون حجةً، إلا إذا تركَ شيئاً؛ لوجودِ مانعٍ من فعله، كتركه ﷺ قيامَ رمضانَ جماعةً؛ بسببِ خشيته أن يفرضَ على أمّته، فمثل هذا ليست الأسوة في تركه، بل في فعله؛ لانتفاء المانع.

(١) رواه البخاري [٩٥٩]، ومسلم [٨٨٦]، وأبو داود [١١٤٧]، واللفظ له.